



علم السرد

د. عبد القادري أحمد
جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف (الجزائر)
aeksiahmed@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/01

تاريخ القبول: 2021/12/04

تاريخ الإيداع: 2021/11/28

الملخص:

علم السرد هو علم حديث النشأة نسبياً، تناوله الدارسون بعد البنيوية، موضوعه السرد، حيث أنه يتناول الخطاب السردى أسلوباً وبناء ودلالة، تلقاه العرب بشيء من الاضطراب والاختلاف في الترجمة والممارسة، كونه علم حديث النشأة مما جعله لا يستقر على حال في المنظومة المصطلحية العربية وكذا الممارسة النقدية.

الكلمات المفتاحية: السرد- علم السرد- علم القص-السرديات- الخطاب

Abstract :

Narrative science is a relatively recent science, studied by scholars after structuralism, it is about storytelling, as it deals with narrative discourse in style, structure and meaning, the Arabs received it with some confusion and difference in translation and practice, being a newly emerging science, which made it unstable in the Arabic terminological system, as well as in critical practice.

Keywords: narration ; science of storytelling ; storytelling ; stories ; speech

علم السرد: (Narratologie): هو علم حديث النشأة شأنه شأن أي علم يتناول "حقل معرفي له قواعده الفكرية الصارمة من حيث التجربة والمشاهدة والبحث عن الثوابت وراء المتغير من الظواهر"¹، اختلف فيه من حيث الترجمة ونقله إلى العربية، حيث عرف اضطراباً كبيراً في نقله من مصادره الأجنبية إلى العربية، وهو ما أحصاه الباحث الجزائري (يوسف وغليسي)، من ترجمات عربية، المبينة في الجدول التالي:²

المصطلح	Narratologie	Narrativité	المرجع
اسم المترجم			
محمد الناصر العجيمي	السردية	السردية	في الخطاب السردى: 35، 11
المرزوقي	نظرية القصة	القصصية	مدخل إلى نظرية القصة: 232، 231



			وجميل شاكر
معجم مصطلحات نقد الرواية: 107	؟	السردية	لطيف زيتوني
ألف ليلة وليلة: 84، تحليل الخطاب السردية: 189، في نظرية الرواية: 130، 246	؟	السردانية علم السرد	عبد المالك مرتاض
ترجمة (عودة الى خطاب الحكاية): 245	السردية	السرديات	محمد معتصم
المصطلحات الادبية الحديثة، ص 60، (ضمن المعجم)	؟	علم السرد علم القصص علم الرواية	محمد عناني
مجلة "اللسان العربي" ع 25، 85 ص 235	السردية	دراسة السرد	التهامي الراحي الهاشي
قاموس اللسانيات، ص 201	السردية	المسردية	عبد السلام المسدي
هندسة المعنى: 17، 52	؟	التحليل السردية علم السرد القصصي	قاسم المقداد
"البطل الملحمي والبطلة الضحية، ص 02	؟	علم السرديات	عبد الحميد بورايو
قاموس مصطلحات التحليل السيمائي: 121	السردية	؟	رشيد بن مالك
ترجمة (مدخل لجامع النص) لجنيت، ط 2، ص 98	؟	فن السرد النظرية السردية	عبد الرحمن ايوب



رشيد بن حدو	السردولوجية	؟	ضمن (طرائق تحليل السرد الادبي)، ص 85
عبد الله ابراهيم	السردية علم السرد السرديات	؟	المتخيل السردية: 104، 146
سعيد يقطين	السرديات	السردية، الحكائية	قال الراوي: 13، 14، 15
طريف شيخ امين	القصصيات	؟	ورد في (اللغة الثانية)، ص 178، 182
سعيد الغانمي	؟	الساردية	اللغة الثانية، ص 179
بسام بركة	دراسة الرواية، دراسة الحكاية	؟	معجم اللسانية: 137

هذه الاختلافات، مردها "أننا نتلقف المصطلح ولا نصنعه، ونستهلكه ولا ننتجه ونتسابق في نقله ولا ندأب على وضعه والتواضع عليه"³، فيترجم مصطلح (Narratologie)، إلى سرديات وحكايات وعلم السرد، وعلم الحكاية وعلم القصّ ونظرية السرد وسردية.

بل أن بعض المترجمين العرب لا يستقرون على مقابل واحد للمصطلح الأجنبي (Narratologie)، فيستعمل أكثر من مصطلح عربي "موحيا بعدم قدرته على اختيار مصطلح واحد يسعف على التعبير عن تصور مصطلح narratologie في اللغة الفرنسية أو narratology في اللغة الانجليزية، إذ يلجأ إلى تعزيز المصطلح الأول الذي يصطفيه مقابلا للمصطلح السردية الأجنبي بمصطلحين آخرين على سبيل التوضيح، الذي يبذل اللبس والتأكيد الذي يزيل الشك، حسب هذا المنوال: السرديات (نظرية السرد/علم السرد)"⁴، هذه الاستعمالات المتباينة تبين لنا أن هناك "خلطا واضحا في الاستعمال لا يمكن أن ينجم عنه غير الابهام والالتباس ليس في المفاهيم فقط، ولكن أيضا في تحديد الأنواع وتدقيقها"⁵، مما يحتم علينا تضافر الجهود والبحوث العلمية بكل موضوعية لأجل الاستعمال الموحد للمفهوم والمصطلح.

كلّ ذلك، حتى نتمكن من "علم المصطلح بشقيه النظري Terminologie والتطبيقي Terminographie: فالمصطلح النقدي لم يعد من اختصاص ناقد أو عالم الأدب فقط، بل أضحي جزء منه من اختصاص عالم المصطلح"⁶، فهو علم قائم بذاته، له أسسه النظرية والتطبيقية.



لأجل ذلك، فإن توحيد المصطلح أصبح ضرورة ملحة يمكن تحقيقها من خلال "التوحيد المعياري" باتباع الخطوات التالية بعد تجميع الوثائق المتعلقة بحقل علمي معين⁷:

- تثبيت موقع كلّ مفهوم في منظومة المفاهيم الخاصة بذلك الحقل العلميّ، طبقا للعلاقات المنطقية والوجودية بين تلك المفاهيم.

- تثبيت معاني المصطلحات عن طريق تعريفها.

- تخصيص كل مفهوم بمصطلح واضح يتم اختياره بدقة بين المترادفات الموجودة.

- وضع مصطلح جديد للمفهوم، عندما يتعدّد العثور على المصطلح المناسب من بين المترادفات الموجودة.

وقبل التطرق إلى تحديد ماهية علم السرد/السرديات، فهناك من يرى أنه لا بد من التطرق إلى معرفة الشعرية لأنها هي الأصل الذي يحتوي موضوعنا، حيث أنها "تنظر إلى الخطاب الأدبي أو النصوص الأدبية من الداخل بكونها لا تحيل على شيء خارجها أي لا ترتبط بمرجع خارجي. خارج النص. فهي لا علاقة لها بوسائل انتاجها ومحيطها الواقعي إذ ليس هناك من جملة واحدة في العمل الأدبي يمكن أن تكون بحد ذاتها انعكاسا بسيطا لمشاعر المؤلف الخاصة، وإنما هي دائما تركيب ولعب، فالعمل الأدبي مركب لغوي بأكمله، ومادته منظمة كلها، وعليه يمكننا على وفق ذلك بناء علم أدبي"⁸، فهي تهتم بالنص من حيث أنه بنية مفتوحة على نفسها، منغلقة عن الخارج.

وبما أن علم السرد موضوعه السرد، والسرد بنية لغوية، فلا مناص له من إخضاعه للدراسة العلمية للأدب، وعلى الرغم من كونه حديث النشأة نسبيا، منذ عام 1918 على يد ايخنباوم في مقالة "كيف صيغ معطف غوغول، إلا أنه لم يظهر هذا المصطلح إلا في سنة 1969 على يد تودوروف"⁹، والبعض الآخر يرى أن البداية الأولى كانت "عندما عكف فلاديمير بروب (مورفولوجيا الخرافة) سنة 1928م، على دراسة الخرافات الروسية"¹⁰، التي كانت بمثابة المرجع الأساسي للدراسة العلمية للأعمال السردية.

وبالإضافة إلى هذا، فإن هناك من النقاد من ينسب ذلك إلى "كتاب الخرافات للعالم الفرنسي جوزيف بيدي (Joseph Bédier)، الذي نشر في نهاية القرن التاسع عشر معتبرا فيه القصة كيانا عضويا حيا يتم هدمه بمجرد اسقاط أحد مكوناته الأساسية"¹¹، كما يعود له الفضل "في اكتشاف أن القصة ليست تجميعا غير مستقر لموضوعات غير ثابتة، خاضعا للتأثيرات الجغرافية والتاريخية - كما كان يعتقد معاصروه- إنما هي كائن حي ينمو حول نواة ثابتة، وكذلك في تحسّسه للطابع العضوي لهذه النواة، والذي يمكن اعتباره للبناء الكامن خلف أشكال التعبير القصصي"¹²، فإليه يعزى سبق في هذا المجال.



ثم تلاه بعد ذلك بحث (فلاديمير بروب) (Vladimir Propp)، الذي تناول جهد سلفه - جوزيف بيدي، (Joseph Bédier) - بالنقد سار بالتحليل الشكلي للقصص شوطا كبيرا، يعد البداية الحقيقية لمرحلة جديدة من تاريخ «علم القص» حيث وضع هذا الباحث أسس المنهج البنيوي عندما كشف عن وجود نموذج فريد للبنية الحكائية الخرافية الروسية¹³.

هذا الجهد الذي قدّمه بروب (V. Propp) في تحليل الخرافة تحليلا علميا يعد "انجازا معرفيا في مجال الدراسات النقدية للنص السردي، فبعد أن كان النقد الأدبي خطابا يصف النص أو يفسّره، ويركز على مضمونه وكيانه، صار خطابا يُعنى ببنية النص وخصائص الشكل"¹⁴، هذا الذي مهد الطريق أمام الدارسين، خاصة الشكلية الروسية، التي كان لها "مكانة خاصة في مسيرة تطور الدراسات الأدبية والنقدية، إذ لها دور كبير في نشأة ما أصبح يعرف باسم نظرية الأدب، وذلك لما قدّمته من أفكار وأراء أحدثت الكثير من التغيرات في النظر إلى العمل الأدبي، خاصة بتركيزها على هدف محدد هو الوصول إلى تحديد منهج موضوعي، يتم به دراسة سمات الأدب من حيث الطرائق والأساليب، على نحو تتحقق فيه العلمية"¹⁵، فكانت الشكلانية، هي من نظّرت للأدب، وبحثت عن العناصر الأساسية التي تجعل من أي عمل أدبي أدبا.

لذلك رفض الشكلانيون الدراسات السابقة التي كانت تعامل "الأدب على أنه انعكاس محض لسيرة كاتب، أو لتوثيق تاريخي أو لأحداث اجتماعية، وفي مقابل ذلك أصر الشكليون على أن الأدب منتج له خصوصيته المستقلة"¹⁶، وأن "موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما الأدبية، أي ما يجعل من عمل أدبيا"¹⁷، وشرطهم الأساسي في ذلك، هو أن "موضوع العلم الأدبي يجب أن يكون دراسة الخصائص النوعية للموضوعات الأدبية التي تميزها عن كل مادة أخرى وهذا باستقلال تام عن كون هذه المادة تستطيع بواسطة بعض ملامحها الثانوية أن تعطي مبررا لاستعمالها في علوم أخرى كموضوع مساعد"¹⁸، أي يجب دراسة الأدب دراسة محايدة بعيدة كل البعد عن المؤثرات الخارجية.

أما فيم يخص الأعمال السردية، فقد كان محط عنايتهم في تحليل القصة، "دراسة الهياكل اللغوية في المستوى التركيبي، ليتم بعد ذلك الوقوف على القيمة الدلالية والإيحائية للخطاب"¹⁹، أي أن الدلالة كامنة في العلائق اللغوية داخل القصة.

ونجد أبرز من تمثّل هذه المنهجية ودعا إليها، هو (تزفيتان تود وروف) (Tzvetan Todorov)، الذي يعود له الفضل في علمنة السرد، وهذا عندما "أصبح مصطلح (السرد) علما مستقلا يعرف بـ(علم السرد) أو (السردية: Naratology)"²⁰، حيث "وقف عند وصف اللغة وسيرويتها على كل مستوياتها الصوتية، والتركيبية والدلالية أوجدت تقنيات خاصة منحت الدرس الأدبي استقلالا عن علوم النفس والاجتماع والأناسة والدين والسياسة، جعلت أدبيته تكمن في اللغة وتمظهراتها الحسية من خلال أنماط الكلام وبناء التركيبية"²¹، فكانت اللغة ومستوياتها المختلفة هي موضوع الدراسة الأدبية لتحديد أدبية النص الأدبي.



فالمدرسة الشكلانية، تنهض على مبادئ في رؤيتها للفن والأدب، فهي - الشكلانية - "علم مستقل"، يدرس الخصائص النوعية للنص الأدبي، أي الخصائص التي تمنح الأدب فرادة وخصوصية وهي عناصر محايدة ترتبط بطبيعة الأدب نفسه كمادة جمالية ينبع محتواها من هذه العناصر وليس من المرجع واقعاً كان أو تاريخاً²²، بمعنى أن دراسة النص الأدبي تكون دراسة منغلقة على نفسها بعيدة عن السياقات الخارجية المنتجة للنص.

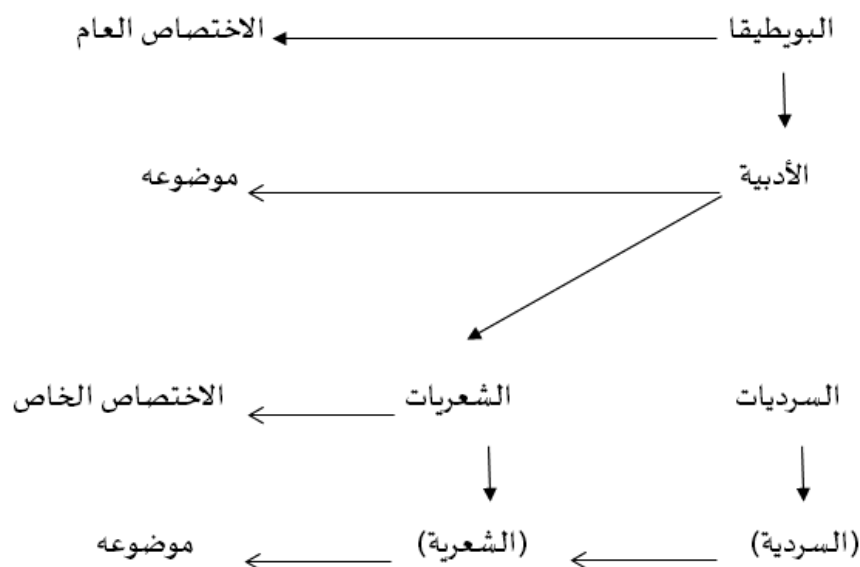
ما يجعل علم السرد/السرديات "يدرس طبيعة وشكل ووظيفة السرد، كما يحاول أن يحدد القدرة السردية وبصفة خاصة، فإنه يقوم بتحديد السمة المشتركة بين كل أشكال السرد (على مستوى القصة والتسريد والعلاقة بينهما)²³، فعلم السرد/السرديات، يمكنه أن يتناول ويدرس مختلف النصوص السردية على حد سواء.

فهو العلم "الذي يهتم بالبحث في مكونات البنية السردية للخطاب الروائي، مركزاً على الأنساق اللغوية التي تشكل أسلوبه وبنيته التي تعمل على تلاقي جوانبه الملفوطة والمفهومة"²⁴، كما أنه "يدرس جنس السرد وأنواعه وأشكاله وأنماطه لا تحده منطلقات ومبادئ جامعة ولا تميزه مصطلحات مفتاحية موحدة"²⁵، فهو يدرس جميع أنواع السرد المختلفة.

يقول عنها سعيد يقطين، بأنها - علم السرد/السرديات - "هي الاختصاص الذي أنطلق منه في معالجة السرد العربي، والسيرة الشعبية خصوصاً، إنها الاختصاص الذي أسعى إلى استنباطه وبلورته بالاشتغال بالنص السردى العربى قديمة وحديثة"²⁶، كونها -السرديات- في نظره "قد حققت منذ ظهورها نجاحات مهمة في الغرب، ودونها الكثير الذي يمكنها أن تحققه في الكشف عن مختلف زوايا السرد"²⁷، بمعنى أن علم السرد/السرديات، لها دور مهم في دراسة وتحليل النصوص السردية، وكذا معالجتها للسرد العربى - سواء أكانت النصوص السردية العربية نصوصاً قديمة أم نصوصاً حديثة- معالجة علمية.

كما أنه سعى - سعيد يقطين - إلى تحديد موقع علم السرد/السرديات، كونها "اختصاصاً جزئياً يهتم بـ«سردية» الخطاب السردى، تندرج ضمن علم كلي هو البويطيقا التي تعنى بـ«أدبية» الخطاب الأدبي بوجه عام، وهي بذلك تقترن بـ«الشعريات» التي تبحث في «شعرية» الخطاب، على هذا النحو:²⁸

بمعنى أن علم السرد/السرديات هي جزء من الكل - البويطيقا- الجمالية التي تبحث عن مواطن الجمال في النص، أي نص، انطلاقاً من رؤية علمية وموضوعية لدراسة البنية الداخلية للنص.



شكل يبين موقع السرديات وموضوعه

فهو - علم السرد/السرديات (Narratologie) - "علم يُعنى بمادة المحكي وحبكته حين يدرس وظائف الراوي والعلاقة بينه وبين الشخصية سواء من حيث أنماط الرؤية السردية (التبئير) أو من حيث صيغ الكلام، إضافة إلى أساليب السرد من تسلسل وتناوب وتضمن وترتيب النص وتواتره وسرعته"²⁹، كما أنه يهتم "بالنص الروائي في جانبه البنائي والأسلوبي والدلالي"³⁰، ما يجعله يقف "على التقنيات المستعملة في إنجاز العمل السردى (...)، وطرائق تشكل القصة"³¹، فهو علم موضوعه، المحكي اللفظي.

فعلم السرد/السرديات هو "فرع فعال للنظرية الأدبية، فالدراسة الأدبية تستند إلى نظريات بنية السرد، تستند إلى أفكار الحكمة، وضروب الرواة المختلفين، وتقنيات السرد كما أن شعرية السرد تسعى في نفس الوقت إلى فهم مكونات السرد، وإلى تحليل الكيفية التي تحقق بها سرديات معينة تأثيراتها"³²، فهو فرع من فروع النظرية الأدبية، التي تعنى بالمقومات الأساسية التي يقوم عليها نص ما، تتحرك ضمن إطارها الخاص، إطار السرديات، كون أن لكل حقل معرفي ولكل مجال بحث لغته الخاصة، اللغة الواصفة (Mita langage) - اللغة العالمية - وهي أن نتحرك ضمن نسق.

كما أن علم السرد/السرديات (Narratologie)، في أصلها حصرية تشتغل في إطار المحكي اللفظي، وعندما نكلف السرديات فيما هو غير لفظي، هذا يعني أننا أقحمنا شيئا ليس من نسق السرديات، مع مراعاة الانسجام في المقاصد والدلالات، حتى لا نقع في التناقضات.



فعلم السرد/السرديات هي "ميدانٌ عامٌ ينقسم إلى ثلاثة ميادين نوعية، هي: سرديات الحكاية، وسرديات الخطاب، وسرديات الدلالة (...)، تتضمن عددا من المناهج المنضوية إلى تلك الميادين والتي تأتلف جميعها في مقارنة السرد وتختلف في أسلوب مقارنته"³³، كل تبعا لاتجاهاته الفكرية وخلفياته الفلسفية في مقارنة النصوص السردية.

وهو "ما يؤدي إلى تعدد المصطلحات وتشعب التصورات في ميدان السرديات عامة وفي المناهج المنتمية إلى فروعها الثلاثة خاصة، إذ غالبا ما يسود الاختلاف بين علماء السرد في الاصطلاح على تصوّر جامع مانع لمصطلح معين، وذلك بسبب التمايز القائم في رؤية كل منهج للمكون موضوع الوصف/أو التأويل، إن كان حكاية أو خطابا أو دلالة"³⁴، وهو ما يمكن تناوله بشيء من التفصيل في دراسة مستقلة، عندما تتطرق- الدراسة المستقلة - فيه إلى اتجاهات السرد التي تناولها أصحابها تبعا لرؤاهم الفكرية وخلفياتهم الفلسفية.

الهوامش:

- ¹ هاني يحي نصري، الاسلام والمعرفة الفلسفية، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1434هـ/2013م، ص: 325
- ² يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1429هـ/2008م، ص: 286
- ³ سيدي محمد بن مالك، السرد والمصطلح، ط1، دارميم للنشر، الجزائر، 2015م، ص: 72
- ⁴ مجموعة من الباحثين، السرديات والترجمة العربية، تنسيق: سيدي محمد بن مالك، تقد: عبد الحميد بورابو، ط1، دارميم للنشر، الجزائر، 2018م، ص: 105
- ⁵ سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1433هـ/2012م، ص: 84
- ⁶ سيدي محمد بن مالك، السرد والمصطلح، مرجع سابق، ص: 72-73
- ⁷ علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2008م، ص: 311
- ⁸ أحمد رحيم كريم الخفاجي المصطلح السرد في النقد الأدبي العربي الحديث، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2012، ص: 22
- ⁹ ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات، والوظائف، والتقنيات، دراسة، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م، ص: 63
- ¹⁰ فانسون جوف، شعريّة الرواية، تر: لحسن أحمامة، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2012م، ص: 89
- ¹¹ عبد الحميد بورابو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص: 18
- ¹² المرجع نفسه، ص: 18
- ¹³ المرجع نفسه، ص: 18-19
- ¹⁴ بان البناء، البناء السرد في الرواية الإسلامية المعاصرة، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2014م، ص: 12-13



- ¹⁵ سليمان وائل سيد عبدالرحمان، تلقي البنيوية في النقد العربي، نقد السرديات نموذجاً، ط1، العلم والايمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، 2008م، ص: 34-35
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص: 35
- ¹⁷ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، 1997م، ص: 13
- ¹⁸ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص: 13
- ¹⁹ ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفي، مرجع سابق، ص: 70
- ²⁰ بان البناء، البناء السرد في الرواية الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص: 13
- ²¹ ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفي، مرجع سابق، ص: 70
- ²² سيدي محمد بن مالك، السرد والمصطلح، مرجع سابق، ص: 14
- ²³ جيرالد برنس، المصطلح السرد، تر: عابد خزندار، تقد: محمد بري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م، ص: 157
- ²⁴ مجموعة من الباحثين، السرديات والترجمة العربية، مرجع سابق، ص: 48
- ²⁵ المرجع نفسه، ص: 48
- ²⁶ سعيد يقطين، الكلام والخبر، مرجع سابق، ص: 22
- ²⁷ المرجع نفسه، ص: 22
- ²⁸ المرجع نفسه، ص: 23
- ²⁹ سيدي محمد بن مالك، السرد والمصطلح، مرجع سابق، ص: 49
- ³⁰ مجموعة من الباحثين، السرديات والترجمة العربية، مرجع سابق، ص: 48
- ³¹ أحمد بوجمعة بناني، المصطلح النقدي المعاصر عند عبدالملك مرتاض، (مقاربة منهجية)، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2015م، ص: 219
- ³² جوناثان كالر، النظرية الأدبية، تر: رشاد عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2006م، ص: 102
- ³³ مجموعة من الباحثين، السرديات والترجمة العربية، مرجع سابق، ص: 97-98
- ³⁴ المرجع نفسه، ص: 98